المقاربة الأمنية لحلف شمال الأطلسي في منطقة المتوسط بعد الحرب الباردة

NATO'S security approach in the Mediterranean region after the cold war

وهيبــة تبـاني

جامعة مولود معمري– تيزي وزو، (الجزائر)

tebaniouahiba15@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/09/12 تاريخ القبول للنشر: 2022/03/11 تاريخ النشر: 2022/06/05

ملخص: *إستجابة لتطورات و تغيرات البيئة الدولية الجديدة التي أعقبت نهاية الحرب الباردة، قام حلف الناتو بإعادة بناء مقاربة أمنية تناسب المشهد الأمني الجديد، وهي" مقاربة الأمن التعاوني" التى تقوم على أسس التعاون والشراكة والحوار، ولقد أخذت منطقة المتوسط حيزا معتبرا من هذه المقاربة الأمنية الجديدة كونها المنطقة الأكثر ديناميكية من ناحية التوترات والصراعات واللاإستقرار الأمني. ولكن تطبيق هذه المقاربة على أرض الواقع في الفضاء المتوسطي اصطدمت بمجموعة من التحديات التي حالت دون تحقيق الأمن والإستقرار في المنطقة.*

الكلمات المفتاحية: *النانو، منطقة المتوسط، المفهوم الإستراتيجي الجديد، الأمن التعاوني، التهديدات الأمنية الجديدة.*

Abstract*: Due to the changes and the evolutions of the new international situation after the cold war, the NATO has rebuilt a security approach that best fits the new security prospect .It consists of « cooperative security » which is based on cooperation, partnership and dialogue foundations .The Mediterranean region has taken a significant part of this approach as it is the most dynamic region in terms of tensions, conflicts and security instability. But, the implementation of this approach in reality in the Mediterranean area have being met a set of challenges that deprived it to reach and realize security and stability.*

Key words: *NATO, Mediterranean region, new strategic concept, Cooperative security approach, new security threats.*

1.مقدّمة:

لقد كانت إستجابة حلف شمال الأطلسي لتغيرات البيئة الدولية التي أعقبت نهاية الحرب الباردة غير متوقعة، حيث بقي كحلف حيوي عمد إلى تبني أهداف وأدوار جديدة، ومن بين أهم هذه التغيرات التى عرفتها البيئة الأمنية الدولية نجد ظهور نوعية جديدة من التهديدات الأمنية التي صاحبت تطور وتوسع مفهوم الأمن، إستجابة لهذه التطورات قام حلف الناتو بإعادة بناء مقاربة أمنية تناسب المشهد الأمني الجديد.

فالمقاربة الأمنية التقليدية لحلف الناتو والتي حصرت مفهوم الأمن في المجال العسكري قد انتهت مع نهاية الحرب الباردة وحل محلها مفهوم أوسع للأمن وتبني مقاربة أمنية جديدة وهي " مقاربة الأمن التعاوني" والتى تقوم على أسس التعاون والشراكة والحوار. ولقد أخذت منطقة المتوسط حيزا معتبرا من هذه المقاربة الأمنية الجديدة كونها المنطقة الأكثر ديناميكية من ناحية التوترات والصراعات واللاستقرار الأمني، وكما أكد الحلف الأطلسي في إستراتيجيته الجديدة على أهمية منطقة البحر المتوسط حيث يعتبر الضفة الجنوبية منه مصدر للأمن.

لعل من بين أسباب ودوافع إختيار موضوع الورقة البحثية، تلك المتعلقة بالنقاط التالية:

- المبرر الذاتي، يرتبط باهتمام الباحثة بموضوع الدراسة، ومحاولة التعرف على التغيرات والتطورات التي عرفها حلف الناتو بعد نهاية الحرب الباردة بتبنيه استراتيجية و أدوار جديدة.
- المبرر الموضوعي، برتبط بالسعي إلى التعرف على المقاربة الأمنية الجديدة لحلف الناتو ومحاولته لتحقيق الأمن والإستقرار بناءا على هذه المقاربة،أضف إلى ذلك الإهتمام الكبير للحلف بالأمن المتوسطي حيث أبدى تخوفاته من توسع التهديدات الأمنية الجديدة في منطقة المتوسط وكيفية مواجهتها.

ولقد جاءت الإشكالية الاساسية للورقة على النحو التالي: **هل إستطاع حلف شمال الأطلسي تحقيق الأمن و الإستقرارفي منطقة المتوسط انطلاقا من مقاربته الأمنية الجديدة و المتمثلة في "مقاربة الأمن التعاوني" ؟**

لأجل معالجة وتحليل الموضوع المطروح، إرتأينا الإستعانة وإستخدام النظرية الواقعية التي سيطرة على عقيدة حلف شمال الأطلسي طوال الحرب الباردة، إضافة إلى اعتماد المقاربة الموسعة للأمن لمدرسة كوبنهاغن .

وبخصوص الفرضيات التي ننطلق منها في دراسة موضوعنا، فهي مطروحة على النحو التالي:

- التطور المفاهيمي والنظري الذي عرفته الدراسات الأمنية مع نهاية الحرب الباردة، ساهم في بناء المقاربة الأمنية الجديدة لحلف الناتو.

– نجاح مقاربة الأمن التعاوني التي تبناها حلف الناتو بعد الحرب الباردة في حماية الأمن المتوسطي، محكوم بعدّة متغيرات منها تسوية القضايا الأمنية العالقة في المنطقة.

بالنسبة للأهداف العلمية المتوخاة من الورقة البحثية، نلتمسها في السعى إلى معالجة موضوع المقاربة الأمنية التي تبناها حلف شمال الأطلسي بعد نهاية الحرب الباردة، وهذا مع توضيح كيفية انتقال الحلف من المقاربة الأمنية التقليدية إلى المقاربة الأمنية الجديدة التي تتماشي مع المشهد الأمني الجديد، ويسعى هذا البحث أيضا إلى إبراز التوجهات الجديدة لحلف الناتو في منطقة المتوسط من أجل حماية الأمن المتوسطي من خلال مقاربة الأمن التعاوني، وكذالك التحديات التي تواجهه.

ولقد تم عموما، تقسيم الورقة البحثية إلى ثلاث عناصر متسلسلة ومتكاملة وهي:

1. حلف الناتو في ظل سياق استراتيجي جديد.
2. تطور المقاربة الأمنية لحلف الناتو.
3. مقاربة الأمن التعاوني لحلف الناتو في منطقة المتوسط.

2. حلف الناتو في ظل سياق استر اتيجي جديد

مع نهاية الحرب الباردة وأمام بيئة أمنية دولية جديدة شرع حلف الناتو في عملية اصلاح واسعة تمكنه من مواجهة الوضع الجديد، والحقائق الجيواستراتيجية الجديدة وكانت الولايات المتحدة الأمريكية أول من بادر إلى طرح مسألة إصلاح الحلف وإعادة تعريف مهامه بشكل يستجيب مع مقتضيات مرحلة مابعد الحرب الباردة، وتعتبر القمم الأطلسية الثلاث (قمة لندن1990 ، قمة روما1991، قمة واشنطن1999) محطات هامة ورئيسية في مسار حلف الناتو لمابعد الحرب الباردة، حيث حددت المحاور الكبرى لاستراتيجية الحلف الجديدة.

1.2 القمم الأطلسية الثلاثة

لفهم التحولات والتطورات التي مرّ بها حلف الناتو بعد الحرب الباردة لا بدّ من العودة إلى القمم الأطلسية الثلاثة (قمة لندن1990 ، قمة روما1991، قمة واشنطن1999) حيث تعتبر محطات هامة ورئيسية في مسار الحلف.

- **قمة لندن 1990** :

لقد كان إعلان لندن حول تحالف متجدد المعتمد في 6 جويلية 1990 أهم وثيقة بعد الميثاق المؤسس- ينشرها الحلف منذ تأسيسه، هذه الوثيقة تتكون من (23) فقرة تعلن التوجهات الكبرى الجديدة للحلف الأطلسي وتتضمن جملة من الإشارات الإيجابية الموجهة إلى الإتحاد السوفياتي سابقا- كان لا يزال قائما حينها- وإلى جميع دول الشرق واضعة بذلك حدا للمواجهة شرق-غرب. (بوعمامة، 2011، صفحة 157)

وأعلنت قمة لندن أن الحلف سيعرف تحولات جديدة كتحديد وإعادة هيكلة قواته وأيضا تحديد مهامه الجديدة وبالتالي تبنى إستراتيجية جديدة.

- **قمة روما 1991 :**

تعتبر قمة روما البداية الحقيقة لمسار التحول حيث تبنت الدول الأعضاء في الحلف وثيقة بالغة الأهمية بالنسبة لمستقبل الحلف وهي **"المفهوم الإستراتيجي الجديد للحلف"**، ويركز هذا المفهوم الجديد على مبدأ تحسين وتوسيع الأمن لأوروبا (شرقا- غربا) وما يترتب عنه من مراجعة الوجود العسكري في أوروبا وتقليل عدده، وإعادة هيكلة قوات الحلف وإصلاح بنية القيادة، وتبنى عقيدة عسكرية جديدة قائمة على استمرار الحلف في أداء دوره الدفاعي عن الأمن الجماعي لأعضائه.

- **قمة واشنطن 1999:**

انعقدت القمة بواشنطن ما بين 23 و26 أفريل 1999، وركزت هذه القمة على التحضير لمستقبل الناتو وتحديد الأدوار الجديدة التي سيلعبها في القرن الجديد. وفي هذه القمة جاء الإعلان عن تحديد المفهوم الإستراتيجي الجديد لحلف الناتو بشكل يهيئه لدخوله القرن الواحد والعشرين.

في هذه القمة تمت الموافقة على مفهوم استراتيجي مجدد يتلاءم ومعطيات البيئة الأمنية الجديدة، وهذا التجديد هو استمرارية للمفهوم الذي سبقه عام 1991.

يعلن المفهوم الإستراتيجي المجدد في واشنطن المهام الجديدة للحلف "حفظ السلام وإدارة الأزمات" وهما المهمتان الأكثر إلحاحا بالنظر إلى طبيعة التحديات الأمنية الجديدة دون أن يحدد المجال الجغرافي الذي تطبق فيه المهام الجديدة، وهذا تأكيد على التزام الحلف بالعمل "خارج المنطقة". (بوعمامة، 2011، صفحة 281) ويشمل استخدام قوات حلف الشمال الأطلسي في عمليات "خارج المنطقة"من ألاسكا إلى فلاديفستوك من أجل الدفاع عن أمن وقيم الديمقراطية دون أن يطلب بالضرورة إذن من الأمم المتحدة، ولكن مع ما يتوافق مع القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن، إذا كان الأمن الأوروبي-الأطلسي على المحك.(Aléman, s.d) كما أكد على الوقاية من النزاعات كتلك التي حدثت في البوسنة وكوسوفو، ومساهمة الحلف الأطلسي في فرض السلام والأمن الدوليين والتركيز على أهمية الشراكة والتعاون والحوار مع روسيا و أوكرانيا ودول حوض المتوسط.

2.2 الإستجابة للتغيرات الأمنية في الساحة الدولية

لقد ارتبطت التغيرات الجديدة في البيئة الأمنية لفترة مابعد الحرب الباردة بالتغييرات في توجهات حلف الناتو.

- **فالتغير الأول:**

كان في إعادة تحديد مهامه التي سيقوم بها بعد الحرب الباردة. وأكثر ما ميّز مرحلة الإصلاح التي قام بها حلف الناتو في الفترة التي أعقبت الحرب الباردة التوسع في نطاق المهام التي يقوم بها؛حيث إن تلك المهام لم تعد مقصورة على عمليات الدفاع المشترك التي تندرج تحت المادة (5)،و إنما امتدت لتشمل عمليات أخرى خارج إطار هذه المادة ،مثل عمليات إدارة الأزمات و إقرار وحفظ السلام. (ميدكالف، 2009، صفحة 77) وإلى جانب التوسع الوظيفي هذا،قام الحلف بالتوسع الجغرافي في نطاق العمليات التي يقوم بها. ومن أمثلة عمل الحلف خارج مجاله نجد منها: أفغنستان،العراق،وليبيا، من هنا أخذ الحلف يتجه إلى التحول من تنظيم عسكري مهمته الدفاع عن غرب أوروبا ومنطقة الأطلسي، إلى قوة عسكرية عالمية تسعى لتحقيق هيمنة عالمية مرتكزة على قوسين من الأزمات (Arc d'instabilité) القوس الشرقية والقوس الجنوبية، كما حددتها مؤسسة "راند" الأمريكية Rand Corporation. (الحيالي، 2003، صفحة 41) فالقوس الشرقية تتمثل في وجود روسيا ودولا إسلامية كإيران، أفغانستان، دول آسيا الوسطى وباكستان. (حسون، 2010، صفحة 334) أما القوس الجنوبية فتضم شمال إفريقيا على الساحل الجنوبي للمتوسط ومنطقة الشرق الأوسط.

- **التغير الثاني:**

يتمثل في طبيعة التهديدات الأمنية التي يتعرض لها حلف الناتو. ففى أثناء الحرب الباردة ،كان هناك تهديدان واضحان وهما الغزو العسكري الشامل لدول غرب أوروبا من قبل قوات حلف وارسو والحرب النووية.

إن تفكك حلف وارسو قلل من احتمالية وجود التهديديات العسكرية التقليدية ولكن حدث تزايد في نطاق التهديدات الأمنية،بداية من الصراعات الناتجة عن العداء الديني أو العرقي إلى انتشار أسلحة الدمار الشامل و الإرهاب الدولي. (ميدكالف، 2009، صفحة 20) ولقد حدد حلف الناتو التهديدات الأمنية في منطقة المتوسط وفقا للمفهوم الإستراتيجي الجديد لعام 1991 و المفهوم الإستراتيجي لعام 1999 في التهديدات التالية: الأزمات والنزاعات الإقليمية،الهجرة غير الشرعية،انتشار أسلحة الدمار الشامل،و ظاهرة الإرهاب.

لمواجهة كل هذه التحديات الأمنية عمل الحلف على صياغة إستراتيجية جديدة وتبنى مقاربة أمنية تتماشي مع البيئة الأمنية الجديدة.

3. تطور المقاربة الأمنية لحلف الناتو

عند الحديث عن المقاربة الأمنية لحلف الناتو لابدّ من التمييز بين فترتين أساسيتين وهما : فترة الحرب الباردة، وفترة ما بعد الحرب الباردة .فالمقاربة الأمنية التى تبناها الحلف في الفترة الاولى مغايرة تماما للتى تبناها فى الفترة الثانية وهذا يعود إلى التغيرات والتطورات التى عرفتها البيئة الأمنية الدولية أضف إلى

ذلك التطور الذي عرفته الدراسات الأمنية حيث تولى مجموعة من الباحثين مهمة مراجعة مفهوم الأمن وإخراجه من المفهوم الضيق إلى مفهوم أوسع يشمل أبعاد جديدة،وساهمت هذه المراجعة على المستوى النظري في بروز عدة مقاربات ومفاهيم كالأمن الشامل،الأمن التعاوني،الأمن الإنساني،...

ولقد ساهمت كل هذه التغيرات والتطورات في تبنى حلف شمال الأطلسي لمقاربة أمنية تعاونية تستند نظريا على التوسع الذي عرفه مفهوم الأمن.

1.3 المقاربة الأمنية لحلف الناتو خلال الحرب الباردة

اتسمت هذه الفترة بالعداء والشك المتبادل بين القطبين وهذا أدى بهما إلى التفكير في توسيع نطاق نفوذهما ومواجهة القطب الأخر، فبادرت الولايات المتحدة الأمريكية بتشكيل حلف شمال الأطلسي عام 1949 لدعم دول أوروبا الغربية وتأمينها من الخطر الشيوعي، ورد الإتحاد السوفياتي بتشكيل حلف وارسو في عام 1955.

كان الهدف الأساسي لنشؤ حلف الناتو هو هدف أمني يغلب عليه الطابع العسكري ومضمونه ردع الخطر الشيوعي واحتواؤه في أوروبا وأمريكيا الشمالية والمناطق الواقعة في شمال الأطلسي إضافة إلى تركيا واليونان، (الحيالي، 2003، صفحة 34) ومن أبرز المبادئ التي اتفقت دول الحلف على الالتزام بها: مبدأ الدفاع المشترك الذي نصت عليه المادة 05 من ميثاق الحلف.

وبالتالي كانت المقاربة الأمنية الأطلسية طوال فترة الحرب الباردة قائمة على مفاهيم الواقعية: الردع، الاحتواء، المنافسة العسكرية، سباق التسلح، الحرب المحدودة، الحرب الشاملة، فركزت المقاربة الأمنية الأطلسية على الأمن الصلب، فالإهتمام الكبير كان على الوظيفة العسكرية الدفاعية باعتبارها عامل قوي في الإستراتيجية الدفاعية الجماعية في مواجهة تهديدات حلف وارسو، لكن هذا لا يعني أن الحلف لم يتبنى وظائف سياسية واقتصادية. فالوظيفة السياسية للحلف ركزت على كيفية تسوية الخلافات والنزاعات بين دول الحلف بالطرق السلمية، أما الوظيفة الاقتصادية ركزت على إزالة الصراع والتنافس في سياستهم الاقتصادية وتشجيع التعاون الاقتصادي.

عرفت المقاربة الأمنية لحلف الناتو تطورات مختلفة خلال الحرب الباردة وذلك حسب مقتضيات مواجهة الخطر الشيوعي وتطور الأسلحة لدى الحلف الأطلسي والحلف المضاد (حلف وارسو).و وظف حلف الناتو مجموعة من النظريات والإستراتيجيات الأمنية في هذه المرحلة ومنها: إستراتيجية الاحتواء (Containnement Strategy)، و إستراتيجية الانتقام الشامل (Strategy Of Massive Retaliation)، نظرية الحرب المحدودة (Theory of Limited War))،و إستراتيجية الاستجابة المرنة (Strategy of Flexible Response) .

واستمر التنافس بين القطبين إلى أن بدأ المعسكر السوفياتي في التصدع مع نهاية الثمانينات، فبدأت موجة التغيرات تجتاح النظم الموالية للإتحاد السوفياتي في شرق أوروبا ووسطها ثم تفكك حلف

وارسو في 1991، وأعقب ذلك تحلل الإتحاد السوفياتي ثم انتهت الحرب الباردة رسميا، وبدأ حلف شمال الأطلسي في مواجهة وضع جديد بعد سقوط مصدر التهديد الرئيسي الذي نشأ لمواجهته.

2.3 المقاربة الأمنية لحلف الناتو بعد الحرب الباردة

تعتبر أوروبا أكثر المناطق تأثرا بتحولات ما بعد الحرب الباردة، ما أدى إلى تغير في مدركات البيئة الأمنية الأوربية التي لم تعد قائمة على الإستراتيجيات العسكرية السابقة للحلف، والمتمثلة في الردع والاحتواء، وإنّما أصبحت تقوم على افتراضات إنسانية وسياسية باللجوء إلى الوسائل السليمة لحل معضلات الأمن الأوروبي ونبذ سياسات التسلح وتعزيز العلاقات والتعاون بين شرق-غرب من جهة وغرب-جنوب من جهة أخرى.

استدعت القضايا والتحديات والتهديدات الجديدة التي فرضها عالم ما بعد الحرب الباردة إلى تطوير مقاربة جديدة للأمن تتعامل مع جميع أنماط التهديد ومع جميع المستويات. من هنا ظهرت اتجاهات مختلفة تتبني مفهوم أوسع للأمن أخذت تسميات متعددة: الأمن المتكامل (Comprehensive Security) بحيث يتضمن كل أشكال التهديد، الشراكة الأمنية (Partnership Security) حيث يتم إشراك الدول غير الغربية، الأمن المتبادل (Mutual Security) إذ يتم التخلي نسبيا عن نزوع الدول المنفردة إلى تعظيم أمنها على حساب الدول الأخرى، الأمن التعاوني (Cooperative Security) بحيث يتم تقاسم الأعباء الأمنية لاحتواء التهديدات. (زقاغ، د.س. ن)

ولقد ساهمت مدرسة كوبنهاغن مساهمة كبيرة في إخراج مفهوم الأمن من مفهومه الضيق إلى أبعاد جديدة، واقترحت قراءة جديدة للأمن على أساس تصور موسع يشمل قطاعات مختلفة، وساهمت هذه المراجعة لمفهوم الأمن على المستوى النظري ببروز عدة مقاربات ومفاهيم: كالأمن الشامل، الأمن الإنساني والذي تطور في إطار الدراسات الأمنية النقدية. ومن الإسهامات الأصيلة لمدرسة كوبنهاغن، مفهوم "الأمننة" أي إضفاء الطابع الأمني (Securitization/Sécurisation)، ويهدف هذا المفهوم بالأساس إلى تجاوز الصعوبات التي تواجه تقديم تعريف للأمن يمكن أن يحظى بالإجماع، فكل التعاريف المقدمة للأمن لابدّ وأن تواجه مشكلا ما عند تطبيقها، لهذا فإن أفضل كيفية لتجاوز هذا النقص هي اللجوء إلى الأمننة التي تسمح بتكيف رهانات وقضايا ما على أنها تهديدات أو مشكلات أمنية تتطلب معالجة استثنائية. فمع نهاية الحرب الباردة ظهرت تهديدات أمنية غير عسكرية،حيث تم تفسيرها من منظور نظرية الأمننة أنها مرتبطة بقطاعات أخرى سياسية و مجتمعية و بيئية و إقتصادية ... دفعت حلف الناتو لإنتهاج مقاربة جديدة ركزت على أمننة هذه التهديدات الجديدة .

لقد شاع إستخدام مفهوم الأمن التعاوني بعد الحرب الباردة ليعبر عن مقاربة سلمية لتحقيق الأمن، ويعود أول استعمال له الى القرن 18 لإمانويل كانط في مقاله حول السلام الدائم.

ويقوم الأمن التعاوني على أربع مرتكزات أساسية :

- الأمن الفردي (individual peace) : حماية وتعزيز حقوق الفرد داخل وخارج حدود الدولة الواحدة

- الأمن الجماعي(collective peace): إرساء السلم و الأمن على مستوى دولي عالمي
- الدفاع الجماعي(collective defence): دفاع مشترك وتعاوني ضد العدوان و الهجوم الخارجي
- تعزيز الإستقرار(promoting stability) في مناطق النزاع المهددة للأمن المشتركمن خلال الآليات الإقتصادية،و العسكرية،و نظام المعلوماتية.(cohen & mihalka, 2001, pp. 3- 10)

إن الحديث عن الأمن التعاوني لحلف الناتو راجع للمفهوم الإستراتيجي الجديد لعام 1991 وأيضا المفهوم الإستراتيجي لعام 1991،إلا أنه لم يتم تسليط الضوء عليه بما يكفي، أما المفهوم الإستراتيجي لعام 2010 فقد ركز عليه بشكل كبير و خاصة التأكيد على تطبيق مقاربة الأمن التعاوني. حيث مقاربة أمنية تعاونية واسعة تركز على الشراكة الأمنية والاعتماد المتبادل والتعاون والحوار،و هذا مارأيناه من خلال برامج ومبادرات الحلف، كمبادرة " الشراكة من أجل السلام" مع مجموعة من الدول كانت سابقا تابعة للإتحاد السوفياتي من وسط وشرق أوروبا، إضافة إلى "الحوار المتوسطي" مع دول جنوب المتوسط، وكذلك "مبادرة اسطنبول للتعاون" وهي مبادرة للتعاون بين الحلف ودول منطقة الشرق الأوسط وجنوب المتوسط.

4. مقاربة الأمن التعاوني لحلف الناتو في منطقة المتوسط

جاء تأكيد حلف شمال الأطلسي على أهمية منطقة المتوسط في الفقرة (12) من المفهوم الإستراتيجي الجديد حيث جاء فيها: «إن الحلفاء يتمنون إقامة علاقات سلمية مع دول جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط غير الأعضاء في الحلف الأطلسي، تقوم هذه العلاقات على التعاون والتشاور الأمني لأنّ هاتين المنطقتين مهمتان لاستقرار حوض البحر الأبيض المتوسط وبالتالي فهما منطقتان مهمتان لأمن حلف الأطلسي كذلك» (العايب، د.س.ن). وتظهر تطبيق مقاربة الأمن التعاوني للحلف في منطقة المتوسط من خلال مجموعة من المبادرات التي طرحها الحلف على شركاءه الجدد.

1.4. المبادرات الأمنية لحلف الناتو في المتوسط

- **الحوار المتوسطي:**

خلال اجتماع عقد في مجلس الحلف الأطلسي باسطنبول في جوان 1994 طالب وزراء دفاع الحلف مناقشة احتمال مساهمة الأعضاء في تدعيم واستقرار المنطقة المتوسطية وكلف المجلس بعدها اسبانيا وايطاليا بإعداد مشروع الحوار وإجراء الاتصالات بدول الحوض الجنوبية.

بعدها فتحت منظمة حلف شمال الأطلسي حوار سياسيا مع دول جنوب المتوسط سنة 1994، ويضم هذا الحوار كل من: مصر إسرائيل، المغرب، تونس، موريتانيا ثم انضمت الأردن وبعدها الجزائر عام 2000 وفي حقيقة الأمر أثارت مسألة العضوية في هذا الحوار نقاشا داخليا بين دول الحلف، فإسبانيا دافعت عن عضوية موريتانيا، فيما ضغطت أمريكا من أجل إشراك إسرائيل ثم فيما بعد الأردن، فيما تم

إجماع الحلفاء على إقصاء سوريا وليبيا بدعوى دعمها للإرهاب، وشبه إجماع بشأن إقصاء الجزائر من الحوار، باستثناء إيطاليا وإسبانيا. (بن عنتر، 2005، صفحة 167) وتم تغيب الجزائر بسبب الأزمة الداخلية التي كانت تعيشها البلاد آنذاك، ونتيجة التقارب بين الجزائر وحلف الناتو إلتحقت في مارس 2000 إلى الحوار المتوسطي.

ويهدف "الحوار المتوسطي" حسب وثائق الحلف الأطلسي إلى إقامة علاقات جيدة وتعزيز الثقة في مجمل حوض المتوسط بتشجيع ودعم الأمن والاستقرار وتشجيع علاقات حسن الجوار والتفاهم المتبادل في المنطقة وتبديد الأفكار الخاطئة حول أهداف وسياسة الحلف. (بن عنتر، 2005، صفحة 167) و بدأ العمل منذ 1997 ببرنامج عمل سنوي يشمل مجالات تعاون كالاشتراك في النشاطات، كالتمارين العسكرية، نشاطات تدريبية لها علاقة بالإنقاذ، الأمان البحري الإغاثة الإنسانية، عمليات دعم السلام، (Benantar, 2006, p. 171) كما يشارك ممثلون عن دول الحوار في تربصات مدارس الحلف العسكرية، ومجالات أخرى، كالعلم والبيئة، نشاطات المعلومات والاستخبارات، إدارة الأزمات، الأسلحة الخفيفة، محاربة انتشار الألغام... (بن عنتر، 2005، صفحة 168) وفي مجال التعاون الدولي ساهمت مصر، الأردن، والمغرب في قوات حفظ السلام الدولية المنتشرة في البوسنة تحت قيادة الحلف الأطلسي، كما شارك المغرب والأردن في قوات مماثلة في كوسوفو تحت قيادة أطلسية.

إن الحوار المتوسطي كان مهما للغاية للتعبير عن حسن النية والتفاهم مع الجوار ولبناء إجراءات الثقة، إلا أن غياب الإجماع داخل الحلف والاختلافات في إدراك الحلفاء للحوار ومواقفهم تحددها مصالحهم الخاصة في المنطقة، ولعل الخلاف الكبير يتمثل في الصراع العربي- الإسرائيلي، فكيف يمكن الحديث عن الدخول في ترتيبات أمنية إقليمية قبل تحقيق السلام الشامل في المنطقة. ويري البعض أن هذا الحوار صمم أساسا في إطار قضية التطبيع العربي الإسرائيلي لذلك يبقي رهينا لعملية السلام العربية-الإسرائيلية وتطوراتها.

كاد الحوار المتوسطي أن يعاني من الشلل لولا تداعيات أحداث 11 سبتمبر 2001 التي ساهمت في إضفاء طابع التعاون في مجال مكافحة الإرهاب، فكان توظيف هذه الأحداث لتفعيل الحوار، وإعطاء دفع جديد للتعاون في منطقة المتوسط. وفي قمة براغ(التشيكية) نوفمبر 2002 تبني الحلف وثيقة بعنوان "تعزيز الحوار المتوسطي" مع وضع بيان بمجالات التعاون الممكنة، و كما أعلن الحلف في هذه القمة عن رغبته بالتحول إلى العمل على المستوي العالمي، وإطلاق خطة شراكة أوسع في الشرق الأوسط تقوم على تعزيز الحوار الأمني المتوسطي للحلف.

إلاّ أنّ بيان قمة براغ لم يوضح تفاصيل نوايا الحلف بشأن تفعيل الحوار حول المسائل الأمنية، بل اكتفي فقط بذكر المزيد من المشاورات العادية والأنشطة التعاونية مثل المؤتمرات، الزيارات على مستوي المسئولين الساميين، والتدريب والتمارين العسكرية وغيرها من أشكال التعاون. (declaration, s.a)

- **مبادرة اسطنبول :**

في قمة اسطنبول عام 2004، قرر الحلفاء تعزيز الحوار، حيث تبنوا وثيقة بعنوان " أجندة أكثر طموحا وتوسعا للحوار المتوسطي"، وقرر فيها الحلفاء رفع الحوار إلى شراكة حقيقية. وتعتبر مبادرة اسطنبول للتعاون مبادرة واقعية لمقاربة الأمن التعاوني، فالجديد فيها توسعها باتجاه بلدان الشرق الأوسط بما فيها دول الخليج العربي، وتخص هذه المبادرة نشاطات تعاونية أمنية في مجالات كثيرة مثل: محاربة الإرهاب، مكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل، تبادل المعلومات والتعاون البحري،

ولقد كانت من بين أهم الإجراءات المتخذه في إطار هذه المبادرة، تلك المتعلقة بـــ:

- الانضمام إلى عملية المسعى النشط (Active Endeavour operation).
- تبادل المعلومات الإستخباراتية.
- نقل الخبرات حول كيفية تحقيق الأمن التعاوني بين دول الأعضاء ودول منطقة المتوسط ككل.
- تعزيز مشاركة دول الثرق الأوسط في عمليات السلام التي يقودها حلف شمال الأطلسي.

وجاء المفهوم الإستراتيجي الجديد للحلف في قمة لشبونة عام 2010 لتأكيد على أنّ الحلف سيواجه حتى 2020 تحديات كبيرة منها زيادة طموحات المنظمات الإرهابية، و خطر انتشار أسلحة الدمار الشامل، لذا يرى الحلف أنّه لابد من تكثيف التعاون في منطقة المتوسط، ولقد ركز المفهوم الإستراتيجي لعام 2010 على جانب جديد للتعامل مع القضايا الأمنية الجديدة، و المتمثل في الأمن التعاوني الذي تم تسليط الضوء عليه، و إعطائه الأهمية اللازمة، و صنف ضمن القضايا الرئيسية التي ركز عليها الحلف كإدارة الأزمات، و الدفاع الجماعي.

في القمة الأخيرة التي عقدها حلف الناتو في بروكسل في جوان 2021 ، تناولت رؤية " الناتو 2030" التي تتضمن خارطة طريق الحلف في السنوات العشر المقبلة. وكما تناولت القمة مراجعة للمهفوم الإستراتيجي الذي اعتمد في 2010، و في ختام القمة، صادق قادة دول الحلف على وثيقة استراتيجية عمل الحلف للعام 2030، مؤكدين فيها مضى دول الحلف قدما في تعزيز روابط و وسائل الدفاع الجماعي. وكما تطرقت القمة إلى التحديات الأمنية الجديدة التي يواجهها الحلف و المتمثلة في :

- النفوذ المتزايد للصين
- التحديات الأمنية التى تفرضها روسيا
- التهديدات السيبرانية
- التأثير الأمني للتغير المناخي
- الإرهاب والجريمة المنظمة

نوه البيان الختامي على عزم الحلف على الإستمرار في بناء شراكاته مع بلدان العالم من أجل مواجهة هذه التحديات من خلال التعاون المشترك،و هذا يعنى إستمرار وتمسك الحلف بمقاربة الأمن التعاوني من أجل تحقيق الأمن و الإستقرار.

ومن خلال هذه المبادرات االتي طرحها حلف الناتو في منطقة المتوسط حاول تجسيد مقاربة الأمن التعاوني لتحقيق الأمن و الإستقرار، إلا أنه واجهته تحديات كثيرة .

4. تحديات تطبيق مقاربة الأمن التعاوني لحلف الناتو في المتوسط

واجه تطبيق مقاربة الأمن التعاوني لحلف شمال الأطلسي في المتوسط مجموعة من التحديات والعراقيل، والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- العلاقات التاريخية بين دول الحلف ودول جنوب المتوسط،خصوصا العالم العربي. حيث ينظر العرب بالريبة إلى حلف الشمال الأطلسي،رغم التهافت على علاقات وثيقة مع أمريكا وقوى غربية أخرى، وتتناقض النظرة الرسمية لوجود علاقات ودية مع الحلف والغرب عموما مع النظرة الشعبية وشرائح نخبوية التي ترى في الحلف مجرد امتداد للتطلعات الإستعمارية القديمة، وساهم في ذلك أن الولايات المتحدة ورطت الحلف في سلسلة من الحروب والتدخلات في المنطقة الإسلامية، (بن عنتر، قلاب، و شبيب، حلف شمال الأطلسي في عامه الستين...نظرة استشرافية... وموقع العالم الإسلامي فيها، د.س.ن) في أفغانستان عام 2001، العراق عام2003 وليبيا في 2011، فمن الواضح أنّ الحلف يقدر مدى صورته السلبية في العالم العربي والتشكيك المتزايد في نواياه، وهذا يؤثر على بناء الثقة بين حلف الناتو وشركائه المتوسطين.
- البيئة الأمنية للمنطقة معقدة بسبب التوترات السياسية،و الصراعات المسلحة،و انعدام الإستقرار الإقتصادي والسياسي، وهذا بالإضافة إلى تغيّر الوضع الجيوسياسي على الساحل الجنوبي للمتوسط،حيث برزت تحديات جديدة لدول الحلف، منها قضايا طويلة الأمد،على غرار الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني، والتوترات بين تركيا و اليونان ،و قضايا جديدة مزعزعة للاستقرار في المنطقة بعد الربيع العربي في 2011 (سوريا، ليبا، مصر، تونس).
- غياب الرؤية الواضحة والمشتركة للمقاربة الأمنية الأطلسية بسبب الإنقسامات الداخلية للحلف،فغالبا ما ارتبطت الرؤى بالدول الأعضاء ذات التأثير و النفوذ في الحلف .
- التحدي الصيني و الروسي الذي ركز عليه الحلف في قمته في جوان 2021، هذا يعني مزاحمة هذه القوى للناتو في المنطقة مما يفتح الباب لصراعات جديدة تزيد من تعقيد الواقع الأمن للمتوسط.

الخاتمة:

رغم التزام الحلف بمقاربة مشتركة للتصدي للتحديات الجديدة على أساس القيم المشتركة،و كذلك انفتاحه على حوار أمني وفق مقاربة أمنية تعاونية واسعة، إلا أنّ التعامل في ظل بيئة تميزها الاختلافات العسكرية، السياسية، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تقيد من قدرات بناء العلاقات التعاونية بين ضفتي المتوسط، وبناء شراكة أمنية شاملة.

ويبقى واقع تطبيق مقاربة الأمن التعاوني للحلف في منطقة المتوسط تكتنفه العديد من التحديات التي حالت دون تحقيق الأهداف الفعلية وعلى رأسها الأمن و الإستقرار. و كما يرى البعض أن المقاربة الأطلسية لا تشجع على بناء أمن في ظل التناقضات التي تميز منطقة المتوسط، وتكون المقاربة الأطلسية إنما تهدف إلى احتواء المنطقة بحجة احتواء مخاطر وتهديدات يوجهها الخطاب الأمني الجديد وفقا لما يخدم المصالح الأمنية أمريكية كانت أو إسرائيلية أو أوروبية.

قائمة المراجع :

- جينيفر، ميدكالف،(2009)، حلف الناتو، ترجمة: قسم الترجمة بدار الفاروق القاهرة، ط1.
- خير الدين، العايب،(د.س)، البعد الأمني في السياسة الأمريكية المتوسطية وانعكاساتها على الأمن الإقليمي العربي،:www.reefnet.gov.sy/blogbooks projet/fikv/18/15 army.pdf.a
- زهير، بوعمامة، (2011)، أمن القارة الأوروبية في السياسة الخارجية الأمريكية بعد نهاية الحرب الباردةالجزائر: دار الوسام العربي للنشر والتوزيع، ط1.
- عادل، زقاغ، (د.س)، إعادة صياغة مفهوم الأمن برنامج البحث في الأمن المجتمعي، www.politics-ar.com/n/index.php/permalink/3106.html
- عبد النور، بن عنتر وموسي، قلاب ونبيل، شبيب ، (د.س)، حلف شمال الأطلسي في عامه الستين...نظرة استشرافية...وموقع العالم الإسلامي فيها، مركز الجزيرة للدراسات، www.aljazeera.net
- عبد النور، بن عنتر، (2005)، البعد المتوسطي للأمن الجزائري: الجزائر، أوروبا والحلف الأطلسي، الجزائر: المكتبة العصرية
- محمد، حسون، (2010)، الإستراتيجية التوسعية لحلف الناتو وأثرها على الأمن القومي العربي، سوريا،مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، العدد2
- نزار إسماعيل، الحيالي، (2003)، دور حلف الشمال الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة، الإمارات العربية: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1

- Abdennour Benantar, (juillet 2003), «NATO, Maghreb and Europe», Mediterranean politics, Vol.11, N°2.
- Cohen richard and Mihalka micheal, (2001), cooperative securitty: new horizon for international order,the marshall center paper,n°3.
- Prague summit declaration, In: http://www.nato.int/med-dia/upgrading.htm
- Rocio Méndez Aléman, (s.a), La sécurité méditerranéenne. L'OTAN est-elle la solution? in: http://www.nato.int/acad/fellow/98_00/mendez.pdf